المحاضرة الخامسة: خصائص اللسان البشري

قبل التطرق لخصائص اللسان البشري نود استثمار تعريفين للسان يلخصان أهم مميزاته:

- يعرف دي سوسير (De Saussure) اللسان بأنه:"**نظام من الرموز الصوتية الاصطلاحية في أذهان الجماعة اللغوية، يحقق التواصل بينهم، ويكتسبها الفرد سماعا من جماعته.**"[1]
- وهي عند روى.سى. هجمان: "اللغة قدرة ذهنية مكتسبة يمثلها نسق يتكون من رموز اعتباطية يتواصل بها أفراد مجتمع ما"[2]. بالنظر التحليلي والتمعن الجيد في التعريفين السابقين يمكن لنا التوصل إلى أهم الخصائص التي يتميز بها اللسان البشري والمتمثلة في:

1- اللسان ظاهرة مكتسبة:

إن الفرد الإنساني لا يولد مزودا بلسان معين يهتدي إليه تلقائيا في مرحلة ما من عمره، وسرعان ما يتمكن منه تمكن البالغين من دون تعليم الكبار له. وإنما يكتسب لسان مجتمعه الذي ينتمي إليه. وذلك حسب المحيط اللساني الذي يعيش فيه وعملية اكتساب اللغة لها جانبان أساسيان هما: - **الملكة اللغوية "الجانب الفطري".**

- **الجانب الإرادي "البيئة" .**

2- اللسان بنية/ نظام :

من المتعارف عليه أن ألسنة العالم كلها تحتوي على قواعد وأسس متواضع عليها، هي نظامها اللغوي والذي من شأنه أن يحفظها من اللحن عبر مختلف الزمان والمكان مع أبنائها أو مع غير أبنائها، كما أنه العامل المساعد على تحسين أداء المتعلمين.

إن النظام اللغوي لدى أية أمة من الأمم يحتوي على مجموعة من الأنظمة (أصوات، صرف، نحو، دلالة) ولكل نظام نسقه المؤدى في عملية الكتابة أو التعبير (قواعد الإملاء، قواعد التصريف، قواعد التركيب، قواعد وضوابط الدلالة في الاستعمال). وأقل ما يقال عن البنية أنها كل متكامل تتفاعل عناصره في انغلاق ذاتي لتحقق وظيفتها في إطار هذا الكل. فلا قيمة لعنصر إلا من خلال موقعه وتفاعل مع بقية العناصر.

ومثال ذلك في الجانب الصوتي نجد الوحدة الصوتية الواحدة تختلف في نطقها بالنظر إلى موقعها في بنية الكلمة. فالراء مثلا تفخم في حالات وترقق في أخرى على النحو التالي:

- تكون مفخمة إذا كانت مضمومة أو مفتوحة مثل:1/ ربِّ اغفر لي.2/ ربَّ نافعة ضارة .
- مرققة إذا كانت مكسورة مثل: هؤلاء رِجال مخلصون.

والشيء نفسه مع المستوى الدلالي فمثلا:"عندما يريد المتكلم أن يشير إلى تنفيذ حكم الإعدام في شخص ما بقطع رقبته بإمكانه أن يقول: "ضرب عنقه" مثلا. ولكن ليس له أن يقول:"ضرب جيده" مثلا. على الرغم من الترادف الإدراكي بين الكلمتين عنق، وجيد. والسبب هو أن الائتلاف بين الجيد والضرب غير مألوف".[3]

والشيء نفسه على المستوى الصرفي من حيث بنية الكلمة. فالعربية لغة اشتقاقية تشتق كلمات كثيرة من مادة واحدة. عكس اللغات الإلصاقية كالانجليزية مثلا[4]. وفي المستوى التركيبي نلحظ مثلا ضرورة تقدم المنعوت على النعت في العربية وهو مالايكون ملزما في الفرنسية.

3- اللسان أصوات:

الأصل في مختلف الألسنة النطق، وما الكتابة (الخط) إلا المظهر الثاني للسان بعد الكلام، فكل إنسان يتعلم الكلام بزمن معتبر قبل الكتابة؛ وما صرخة الولادة إلا دليل على ذلك، كما أنه توجد مجتمعات بشرية لا تملك أنظمة خطية ولكننا لا نعرف حتى الآن مجتمعا له لغة مكتوبة ولا ينطق[5].

إن إدراك هذه الحقيقة – اللسان ظاهرة صوتية - اهتدى إليها علماؤنا القدامى ومنهم ابن جني الذي عرف اللغة بأنها "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم".[6]

4- اللسان ظاهرة اجتماعية :

اللسان يكتسبه أبناء المجتمع اللغوي كما يكتسبون باقي عاداتهم و معتقداتهم، فلا نتصور وجود أطفال في مجتمع عربي مسلم يصلون للشمس صباح مساء. وعليه لن نجدهم في مراحل اكتساب اللغة ينطقون ويتكلمون الصينية أو الهندية، وكما أنهم لم يسبق وأن سمعوا بها على الإطلاق! ف (اللسان)، سلوك مكتسب من واقع الاستعمال تفرضه الجماعة اللغوية على أبنائها. فهو: "مؤسسة اجتماعية بامتياز، بحيث لا يمكن تصورها خارج المجتمع كما لا يمكن تصور أي مجتمع بدونها، الإنسان ليس تجريدا، ولكنه حصيلة اجتماعية".كما يقول كارل ماركس.[7]

5- الخطية Linèarité:

إن طبيعة اللسان الصوتية تفرض علينا ألا نصدر أكثر من صوت واحد في الآن نفسه في عملية التواصل؛"ومعنى هذا أن تتابع العناصر والترتيب التي تظهر فيه له قيم أساسية في تحديد الخطاب"[8]. فالألسنة تتسلسل عند الكلام تسلسل الزمن.

6- التقطيع المزدوج Double articulation:

كل الألسنة البشرية تتميز بخاصية التقطيع المزدوج أو ازدواجية النطق، وهي التي تجعلها مغايرة للأنظمة الاتصالية الأخرى وخاصة الحيوانية.

- التقطيع الأول:

خلافا للغة الحيوانات كل جملة في اللسان يمكن تقسيمها إلى وحدات صغرى دالة يقال لها : المونيمات (monèmes) أو اللفاظم أو المورفيمات تشكل التقطيع الأول، وهو الذي يتيح اقتصادا كبيرا في الكلام، و لولاه لوجب علينا استحضار كل صوت لكل تجربة، هذا بغض النظر عن اكتساب أو استحضار ذاكرة عظمى لادخار

عدد هائل من الأصوات المناسبة لحالاتنا وتجاربنا اليومية. ولذلك شتان بين هذه الصيحات -العفوية أو المقصودة- وبين اللسان التي تتيح لنا بفضل بضعة ألاف الوحدات التعبيرية وتنويع استعمالها من تجربة إلى أخرى، الاتصال الواسع و الإفصاح عن كل شيء.

- **التقطيع الثاني**: وهو متعلق بتقطيع الوحدات الدالة المونيمات الناتجة عن التقطيع الأول إلى وحدات صغرى غير دالة. فعند تقطيعنا للوحدة (رأس) إلى (ر+ـَ+ء+ـْ+س) هذه،الصغرى تسمى (الفونيمات phonèmes) وهي غير قابلة للتحليل.

لذلك فإن الألسنة جميعها تتميز بهذا النمط من التحليل القائم على التقطيع المزدوج:

- أحدهما: مستوى المونيمات (les monèmes)، وهي الوحدات الدالة التي تقبل التحليل إلى وحدات أصغر غير دالة، أو هي أصغر وحدات دالة لا يمكن تقسيمها إلى وحدات دالة أخرى مثل: ال/درس.

والآخر: مستوى الفونيمات (les phonèmes)، وهي الوحدات الصوتية الدنيا التي ليست لها دلالة في ذاتها ولكنها تحمل وظيفة تمييزية[9]. مثل ق/ا/م.

7- اللسان إنتاجي:

الإنتاجية من خصائص اللسان، فهي التي تسمح للفرد البالغ العارف بقواعد لغته إنتاج عدد غير متناه من الجمل التي لم يسبق وأن سمع بها على الإطلاق. فهو ينطلق من المحدود (أصوات، وقواعد النحو والصرف) ليفتح المجال لغير المحدود، وهذا ما يؤكده كثير من اللسانيين، فهذا اندري مارتيني A. Martinet"يتكلم عن المواقف المتنوعة وغير المتناهية، وعن مسائل الخبرة التي تعبر عنها اللغة. فاللغة تبتكر بواسطة عدد محدود من الفونيمات المتوفرة لديها عددا غير متناه من الأشكال والتراكيب التي تنص على معنى معين، ويشير أيضا إميل بنفنيست E. Benveniste إلى أن جمل اللغة تكون مجموعة غير متناهية، كما يذكر هيمسليف Hjemslewأن اللسان غير متنامٍ".[10]

---

(1)-المحاضرات مقتبسة بتصرف من دروس في اللسانيات العامة للصالح بوترعة، جامعة أم البواقي. محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث،دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة،2001،ص43،42.

(2)- روسي هجمان، اللغة والحياة والطبيعة البشرية،تر: داود حلمي أحمد السيد، ص 44.

(3)- محمد يونس علي،مدخل الى اللسانيات، ص 31.

(4)- ينظر: محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث ، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة،2001، ص59.

(5)- ينظر: محمد حسن عبد العزيز، مدخل إلى علم اللغة، ص 12.

(6)- ابن جني، الخصاص، ج1/76 .

(7)-الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تح السيد أحمد صقر، القاهرة ،1977، ص 78.

(8)- مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة ،مرجع سابق، ص 78

(9)-ينظر، كلا من: أندريه مارتينيه، مبادئ في اللسانيات العامة، تر سعدي زبير، دار الآفاق، الجزائر، ص 20،19،18 وينظر: زبير دراقي، ص 74، 75، وينظر:أحمد حساني، مباحث في اللسانيات،ص 112،111.

(10)- ميشال زكريا، الألسنية،المرجع السابق ،ص29.